بيني وبين «الآداب الأجنبية» و«الآداب العالمية»

أ. د. عبد النبي اصطيف *

سبعة وأربعون عاما مضت على علاقتي بمجلة الآداب الأجنبية، الفصلية التي يصدرها اتحاد الكتاب العرب بدمشق منذ نحو قرن، بوصفها نافذة على «آداب العالم»، «آداب الآخر»، بغرض التفاعل معها والإفادة من تجاربها شكلا ومحتوى. وقد كانت بالفعل، ولا تزال، النافذة المفضلة لدى القارئ العربي في الإطلالة على ما يجري في العالم في ميدان الأدب والثقافة عامة.

وكانت أول مقالة ترجمتها للمجلة مستمدة من الكتاب السنوي للأدب المقارن والعام، (العدد 11، 1962، ص ص 36-39)، وحملت عنوان «حوار حول دوستويفسكي وعلم الجمال الرومنتي»، نشرت في الآداب الأجنبية، المجلد 4، العدد 3، كانون الأول 1977، ص ص (174-182). قدمت بعدها ترجمة لفصلين من كتاب موريس فيتز المعنون بـ Hamlet and the Philosophy of Literary Criticism)، كانا بمثابة تدريب لي على استيعاب أنموذجين من نماذج نقد النقد الرفيع بقلم الناقد الفيلسوف موريس فيتز، رغبت في تقديمهما لقراء المجلة، وقد ظهرا عام 1978، في المجلد الرابع من المجلة.

بعدها تتالت ترجماتي للمجلة وكانت في معظمها ترجمات لنصوص نقدية لمجموعة من كبار النقاد في الغرب من أمثال تيري إيغلتون، وتزفتان تودورف، وبول دو مان، و رومان جاكبسون، ودوي فوكيما، أردتها نافذة على أبرز اتجاهات النقد الغربي الحديث والمعاصر، شملت الماركسية والنقد الأدبي، والبنيوية، والشكلية الروسية، والبنيوية التشيكية، وغيرها، مما نشرته في مجلات المعرفة السورية، والموقف الأدبي، وفصول في النقد الأدبي، والأقلام العراقية، ومجلة سيميائيات الجزائرية، التي تصدرها جامعة وهران، و مجلة باسل الأسد لعلوم اللغات وآدابهاالتي تصدرها وزارة التعليم العالي، وغيرها، لناقد النقاد الأسمى رينيه ويليك، وللناقد اللساني البريطاني الأبرز روجر فاولر، ولكبار النقاد السوفييت ميخائيل باختين ويوري لوتمان وبوريس أوسبنسكي.

كما قدمت مراجعات موجزة لعدد من الكتب التي عنيت بدراسة الأدب الإفريقي ظهرت في العدد الخاص بالأدب الإفريقي من المجلة حرره المرحوم الدكتور حسام الخطيب، ونشر عام 1984.

وفضلا على ما تقدم قمت بترجمة مجموعات من قصائد لمجموعة من شعراء بنغلاديش، ومجموعة أخرى للشاعر التشيكي أنطون بارتوتشيك، ومجموعة ثالثة للشاعر السويدي غونر إيكيلوف استلهمها من قراءاته ودراساته عن التجربة الصوفية العربية والإسلامية.

وعندما اختارت المجلة تغيير اسمها ليكون أكثر تعبيرا عن توجهها العالمي، وأصبحت تحمل

اسم «الآداب العالمية» قمت بكتابة عدد من الدراسات التي انصرفت فيها إلى مناقشة قضايا عامة تتصل بالدرس المقارن للأدب وصلته بالأدب العالمي. وقد ضمت هذه الدراسات: «دائرة الأدب العالمي دائرة غربية يحكمها مجلس أمن غربي»، (مجلة الآداب العالمية، العدد 170، ربيع 2017، ص ص 29–34)؛ و «من الأدب المقارن إلى الأدب العالمي»،(مجلة الآداب العالمية، العدد 180، خريف 2019، ص ص 21–24)؛ و»ديفيد دمروش وإسهامه في نظرية الأدب العالمي»، (مجلة الآداب العالمية، العدد 182، ربيع 2020، ص ص 21–32)؛ و «مقارنون من الشرق يثورون بالدرس المقارن للأدب في الغرب»، (مجلة الآداب العالمية، العددان 189–190، شتاء وربيع 2022، ص ص 152–158)؛ و «نظرة في مصطلح الأدب الفرنسي المعاصر»، (مجلة الآداب العالمية، العدد 188، خريف 2021، السنة 47، ص ص 115–118)؛ و»غوته والترجمة»، (مجلة الآداب العالمية، العدد 186، ربيع 2021، ص ص 7–14). وكان الغرض من هذه الدراسات إطلاع القارئ العربي على جوانب من تطور الدراسات المقارنية في العالم من جهة، والدراسات المتصلة بالأدب العالمي من جهة أخرى، وهما موضوعان أثيران لديّ، خصّصت لهما العقدين الأخيرين من نشاطي البحثي، وأرجو أن يظهرا قريباً في كتابين منفصلين، يضعان المختصين العرب في صورة حاضر الدرس المقارن للأدب في الغرب، واهتمامه المتصاعد بمسائل الأدب العالمي.

وإذ أستعرض علاقتي بفصليّة الآداب الأجنبية/العالمية على مدى العقود الأربعة ونيّف، أتذكر كم كان لتحفيز رؤساء تحرير المجلة وتشجيعهم من دور في توجيه إسهاماتي المتقدم ذكرها. وأود أن أذكر بشكل خاص ما قدمه أستاذي المرحوم الدكتور حسام الخطيب من إسهام في تطوير المجلة عندما ترأّس تحريرها، ولا سيما عنايته بتحرير أعداد خاصة بموضوعات كالأدب المقارن (الذي أسهمت فيه ببحث دعوت فيه إلى المنهج المقارن في دراسة الأدب العربي الحديث)، والأدب الأسترالي، والأدب الهندي، وغيرها، مفيداً في ذلك من علاقاته الدولية الواسعة التي تيسرت له من خلال موقعه عضوا في المكتب التنفيذي في الاتحاد، ومنصبه أمينا عاما مساعدا في الاتحاد البرلماني العربي. وما كان للدكتور الخطيب أن يفعل ذلك دون أن يكون للمجلة قاعدة مكينة من الكُتّاب والمترجمين والقراء، عمل على بنائها كل من رئيس تحريرها الأول الدكتور أحمد سليمان الأحمد، وخلفه الدكتور إبراهيم الكيلاني، تغمدهما الله برحمته، وجزاهما، وكل من عمل على استمرار هذه المجلة، وأسهم في الارتقاء بمحتواها، وتنامي انتشارها، جميعاً، عن قراء العربية خير الجزاء.

وأخيرا فقد كان من الطبيعي أن يتنامى الجهد المثمر في تطوير المجلة على أيدي من حمل الراية بعدهم، وأخص بالذكر الزملاء الدكتورة بثينة شعبان، والأستاذ بديع صقور، والدكتور جهاد بكفلوني، فضلاً على الأستاذة المرحومة الأديبة قمر كيلاني.

وصفوة القول لقد كانت المجلة شجرة وارفة الظلال ذات أصل ثابت، غايته التعارف بين الأمم والشعوب وليس أفضل وأسمى من الآداب أداة لهذا التعارف.